رابط المادة على منصة باحث

شرح كتاب التوحيد بالمسجد الحرام

الدرس)4(من شرح كتاب تجريد التوحيد المفيد للمقريزي بالمسجد النبوي

خالد المصلح

بعد ذلك قال ولباب التوحيد ان يرى الامور كلها من الله تعالى ثم يقطع الالتفات عن الوسائط وان يعبده سبحانه يفرده بها ولا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه. يقول رحمه الله ولباب التوحيد - 00:00:00

لبابه اي حقيقته وجوهره وثمرته ونتيجته وهذا يشبه التأكيد للمعنى السابق من ان التوحيد يثمر التوكل على الله وترك شكاية الخلق ولومهم الرظا بالله والتسليم لحكمه. وقد تقدم الكلام في هذه النتائج الاربع - 00:00:21

هنا اعاد تقرير المعنى بعبارة اخرى انه من حقق التوحيد في قوله وقلبه حقق التوحيد في درجاته التي يدخل بها في الاسلام ثم بعد ذلك يتفاوت الناس في مراتبه. لباب التوحيد اللباب جمع - 00:00:47

لب قوله رحمه الله لباب التوحيد اي غايته ومقصوده وجوهره ان يرى الامور كلها من الله تعالى فلا مانع لما اعطى ولا ولا معطي لما منع كما تقدم. ثم يقطع الالتفات عن الوسائط - 00:01:12

كما تقدم والوسائل وان يعبده سبحانه عبادة يفرده بها اي يوحده بها ولا يعبد غيره وبهذا يتبين ان لباب التوحيد تكميل اليقين بربوبية الله وتكبير اليقين بانه لا اله غيره - 00:01:36

هذا هو الذي يبلغ به الانسان الذروة والغاية في تحقيق التوحيد. ولا شك ان الناس متفاوتون في تحقيق التوحيد على مراتب ودرجات. وان كانوا يقرون باصل المعنى لكنهم يتفاوتون في يقينهم المتعلق باصل المعنى - 00:01:58

ولهذا قال اهل العلم الايمان يزيد وينقص وزيادته ونقصانه ليس فقط فيما يكون من الاعمال الصالحة بل حتى في الاقرار وهذا معلوم فان الاقرار بالشيء ليس على درجة واحدة بل هو متفاوت - 00:02:24

فاقرار العالم المدرك من توافرت له الادلة بالهية الله عز وجل ليس ادراك من لم تقم في قلبه الادلة المتوافرة على الهية الله عز وجل وهذا يمكن ان نمثل له بالواقع الذي يعيشه الناس - 00:02:43

فاذا قال الانسان بشيء سمعه من ثقة ليس كاقراره به في شيء ادركه بعينه. انسان رأى حادثا رأى واقعة اقراره بها هل هو كاقرار من نقلت له الحادثة بخبر الثقات - 00:03:10

الجواب لا بالتأكيد ليست ليس هذا كذاك ومنه قولهم فما راء فمن سمع فدرجة الاقرار متفاوتة كذلك الايمان بانه لا اله الا الله ليس على درجة واحدة بل هو متفاوت في درجات ومراتب - 00:03:28

بقدر ما يكون عند الانسان من العين الباصرة والقلب الحاضر و النظر متأمل المتدبر المتفكر يدرك من حقائق ما يتصل بافراد الله تعالى بالعبودية ما يطيب به قلبه. ولذلك يقول الله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق - 00:03:49

وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فهذا اجتمعت وتظافرت له الادلة في كل شيء له اية تدل على انه واحد وقد قال الله تعالى وكاين من اية في السماوات والارض يمرون عليها - 00:04:24

لكن لا ينتفعون بها وهم عنها معرضون فبقدر ما يكون الانسان حاضر القلب فانه تتظافر في حقه الادلة الدالة على صدق الهية الله عز وجل وربوبيته سبحانه وبحمده. وهذا معنى - 00:04:41

قوله رحمه الله ولباب التوحيد ان يرى الامور كلها لله وهذا من وسائل الوصول الى ما ذكره رحمه الله في قوله ولباب التوحيد ان يرى

الامور كلها من الله ثم يقطع الالتفات عن الوسائط وان - 00:04:58
يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره. بعد ان ذكر المؤلف رحمه الله التوحيد بنوعيه وذكر ما يتصل تكميله ذكر ما يصد عنه ويخرج عنه اذا كان التوحيد على هذا النحو من النعيم الذي يدركه الانسان في الدنيا بالطمأنينة والانشراح - 00:05:15
وفي الاخرة بالفوز والسبق فما الذي يصد الناس عن التوحيد؟ لماذا لا يقبل الناس على التوحيد مع انه مقتضى الفطرة؟ ودلائله وشواهده مثوثة في السماء والارض وفي الانفس كما قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون - 00:05:39
فدلائله اكثر من ان تحصر لا يمكن حصرها في السماء والارض وقد نوع الله الادلة الدالة على على هذا الاصل وثبوته. فلماذا هذا الاعراب ماذا يخرج الناس عن توحيد الله عز وجل لماذا اكثر الناس - 00:05:59
غير مؤمن الله تعالى يقول وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ويقول ان في ذلك الاية وما كان اكثرهم مؤمنين والايات في هذا متوافرة الدالة على كثرة الظالين وكثرة من لا يتبع الهدى - 00:06:22
ما الموجب لهذا الخروج عن مقتضى هذه الادلة المتظافرة التي تدل على على عبادة الله وحده وعلى وجوب افراده بالعبادة يقول رحمه الله ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده. قال تعالى افرأيت من - 00:06:38
اتخذ الهه هواه واذا تأملت عرفت ان عابد الصنم لم يعبده انما عبد هواه. وهو ميل نفسه الى دين ابائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المألوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى - 00:07:02
طيب هذا بيان ما يصد عن التوحيد اعظم ما يصد عن عبادة الله وحده لا شريك له الهوى وقد بدأ به المؤلف رحمه الله لانه المانع الاكبر الذي يشترك في - 00:07:22
حق المتنكبين عن الاقرار بانه لا اله الا الله. اعظم ما يصد عن عبادة الله وحده لا شريك له الهوى فجدير بالمؤمن ان يخلص نفسه منه فان الهوى يعمي ويصم. والهوى مراتب ودرجات - 00:07:44
يكون في صغائر الامور وفي عظائمها فالمشركون الذين عاندوا الرسل وكذبوهم ولم يتبعوا ما جاءوا به من الهدى ودين الحق منعهم من ذلك الهوى ولذلك الهوى عدو الهدى فمن اتبع هواه ظل عن السبيل وخرج عن الصراط المستقيم. والله تعالى يقول ولا تتبع الهوى فيضلك - 00:08:06
عن سبيل الله وهذا نهي عن اتباع الهوى في دقيق الامر وجليله. فان الهوى يخرجك عن طاعة الله. يوقعك في محارم الله. الهوى يصدك عن قبول الحق والعمل به. الهوى يحمل الانسان على ان - 00:08:40
يقدم محابه ومجتهياته على محاب الله ومراضيه. الهوى قد يصل بالانسان الى ان يترك الحق والاسلام والدين ويتورط في الكفر برب العالمين واليك النماذج الكثيرة التي ذكرها الله تعالى في كتابه من احوال - 00:09:01
المكذبين للرسل صلوات الله وسلامه عليهم. فانهم لم يكذبوهم بحجة ولا برهان بل كانت البراهين والحجج ساطعة كالشمس في صدق ما جاءت به الرسل وانما منعهم ما في قلوبهم من الميل الى مألوفاتهم - 00:09:28
ومشتهياتهم ومعبودات ابائهم وما نشأوا عليه كذا منعهم حسدهم وبغضهم لمن جاء بالحق فكان هذا موجبا لما تورطوا فيه من الكفر برب العالمين وقوله ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - 00:09:48
تحذير من ان يتطرق الى قلب المؤمن شيء من الهوى فانه قد يبدأ صغيرا فيكبر. وبقدر تضخم الهوى وكبره في قلب الانسان تزل قدمه ويتورط في الضلال والردى ويقع فيما ذكره الله عز وجل في هذه الاية فيضلك عن سبيل الله. كل خروج عن الصراط المستقيم - 00:10:12
سببه الهواء فتش وتابع ستجد ان الهوى اعظم ما يخرج الناس عن الصراط المستقيم. هنا قد يقول قائل ثمة من يريد الحق لكن لا يبلغه حقا قد يكون هذا لكن غالبا وراء ذلك - 00:10:41
هوى يصد عن معرفة الحق ولهذا يقول العلماء فيما يتصل باتباع الهوى قالوا اتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة فتى اي علما وقصدا فمن عرف فمن قصد الحق قد يمنعه عن الوصول اليه اتباع الهوى فلا يعرفه - 00:11:03

فعنده حسن قصد لكن ليس عنده بذل جهد للوصول الى الحق فيكون هذا سببا لعدم قيام لعدم بلوغه الحق فاتباع الهوى يعمي عن الحق قصدا فتجد من يزهد في الحق ولا يطلبه - 00:11:36

ومعرفة فتجد من يقصد الحق لكن تغلبه نفسه ومشتهياته عن ان يبذل السبب الكافي للوصول الى الحق فهو عنده رغبة وحسن قصد لكنه لا يبلغ ذلك بسبب قصور او تقصير في - 00:11:56

اخذ الاسباب الموصلة اليه. ولهذا ينبغي ان يحذر الانسان من الهوى دقيقه وجليله فما هوى من هوى الا باتباع الهوى. ولا ضل من ضل الا بتسرب هوى الى قلبه وقد قال الله جل وعلا ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - 00:12:17

قال رحمه الله ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى. ثم قال رحمه الله فكل من اتبع هواه فقد اتخذه فقد اتخذ هواه معبودا وقال الله جل وعلا افرأيت من اتخذ الهه هواه - 00:12:40

وهذا بيان ان كل من عبد غير الله انما عبد هواه. عبد مشتهياته عبد ما يحب تغلب محبوبه على محبوب ربه وغلب هواه على طريق الهدى الذي يوصله الى الحق - 00:12:57

بغض النظر عن صورة المعبود ولهذا اختصرت الاية كل من عبد غير الله بانه اتبع هواه بانه عبد هواه. لانه لو تخلص من عبادة الهوى ما عبد الصنم لو تخلص من عبادة الهوى ما عبد الولي الصالح لو تخلص من عبادة الهوى ما عبد النبي لو تخلص من عبادة الهوى - 00:13:19

ما عبد ما عبده من المعبودات من دون الله عز وجل ولكن الهوى هو سبب تلك الانحرافات على اختلاف صورها ولذلك قال افرأيت من اتخذ الهه هواه وقد اجمل المؤلف رحمه الله - 00:13:44

رحمه الله في هذا المقطع الباعث والسبب في وقوع الشرك في الناس وقوع مناقضة التوحيد في الناس فقال فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده اي عبد ما يشتهيه باي صورة كانت هذه - 00:14:01

المعبودات سواء كانت اصناما او كانت آآ معاني لا لا صورة لها وسواء كان من انس او من جن وسواء كان صالحا نبيا مرسلا او فلكين او ما الى ذلك. ولذلك يقول واذا تأملت - 00:14:25

اي تفكرت وتدبرت عرفت ان عابد الصنم لم يعبده انما عبد هواه لانه الذي حمله على عبادة الصنم هواه وميل نفسه وشهوته هي التي اوقعته في عبادة هذا الصنم. وبالتالي الصنم نتيجة لمقدمة - 00:14:44

فاشار المؤلف الى المقدمة بغض النظر عن النتيجة التي انتهى اليها هواه فقال رحمه الله انما عبد هواه. ثم عاد الى بيان ما هو فقال وهو ميل نفسه الى دين ابائه فيتبع ذلك الميل. وهذا ما جرى من ابي طالب عندما عرظ عليه النبي - 00:15:06

صلى الله عليه وسلم ان يقول كلمة وهو في سياق الموت يحاج له بها عند الله. قال يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فقال له عبدالله بن ابي امية وابو جهل اترغب عن ملة عبد المطلب؟ اتترك ملة ابيك - 00:15:30

عبد المطلب فلم يجب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فاعاد عليه مقالتهما اترغب عن ابن عبد المطلب فكان هذا التكرار - 00:15:49

المقالة مانعا له من ان يقول هذه الكلمة وقد جاء في بعض الروايات في غير صحيح الامام مسلم انه قال لولا ان تعيرني قريش لاقررت بها عينك يعني لقلتها لانه مقر بان محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم - 00:16:07

صادق في دعوته وانه جاء بدين الحق لكن منعه من ذلك هواه وهو اتباعه لما كان عليه اباؤه. قال ويل النفس الى المألوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهواء هنا اشارة الى ان الهوى قد يطلق فيما لا ذمة فيه - 00:16:29

قد يطلق فيما لا ذم فيه. وهو ما تشتهي النفس تحبه ولو كان من المباحات. ومنه قول عائشة رضي الله تعالى عنها لنبيه صلى الله عليه وسلم ما ارى ربك الا يسارع في - 00:16:57

هواك يعني فيما تحبه يا رسول الله ما على ربك يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم الا يسارع في هواك يعني يبلغك ما تحب ويعطيك ما تميل اليه نفسك لكن هذا فيما يتعلق - 00:17:15

المحبوبات المأذون فيها. واما عندما يطلق الهوى في الاصل فانه يطلق على المذموم من المعاني وعلى ما يكون من الشر الفساد ولذلك قال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - 00:17:33

هذا هو اعظم ما يصد عن التوحيد وهو اول ما ذكره المؤلف رحمه الله في جملة ما ذكر مما يصد عن التوحيد ونكمل ان شاء الله تعالى بقية لذلك كم بقي من الوقت - 00:17:56

طيب اجل نقرأ المعنى الصاد الثاني. نعم. ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق واالتفات اليهم. فان من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره او يأمل سواه وهذا التوحيد مقام الصديقين - 00:18:12

فان من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره او يأمل سواه. وهذا التوحيد مقام الصديقين. الله اكبر. اقالة رحمه الله ويخرج عن هذا التوحيد وهو ما تقدم من كمال توحيد الربوبية لله - 00:18:29

وتوحيد الالهية له جل وعلا يخرج عن هذا السخط على الخلق واالتفات اليهم اي تعليق القلوب بما يكون منهم اعتقاد انهم ينفعون او يضرون فمن امتلأ قلبه عقدا بان الخلق ينفعون او ان الخلق يظرون فانه - 00:18:49

وقع فيما لا نجاة له منه. فان الخلق مربوبون مقهورون لا سبيل الى نفعهم او ضرهم الا ما شاء الله تعالى وقدره ولذلك كانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس الوصية الجامعة - 00:19:17

واعلم ان الامة لو اجتمعوا. الامة هي الجماعة من الخلق والناس على ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك ما نفعوك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك - 00:19:41

لم يضروك وهذا يبين ان كمال التوحيد في قطع النظر عما يكون من الخلق ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والمؤمن يقر بهذا نظريا ويعتقده من حيث المعنى - 00:19:59

الاجمالي لكن التفاوت في امتلاء القلب يقينا بذلك وترجمة هذا في ترك شكاية الخلق ولومهم والسخط عليهم. والتعلق بهم في جلب ما ينفع وفيه دفع ما يضر ولذلك يقول رحمه الله فان من يرى الكل من الله - 00:20:22

يعني من يرى ان ما يكون من شيء الا بامره ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وان الله خالق كل شيء كيف يسخط على غيره في علم ان غيره مما اوصل اليه ما يكره - 00:20:47

انما هو بامر الله عز وجل وهذا اداة وهذا وسيلة وهذا سبب حصل به ما تكره فلا تغفل عن المسبب المقدر وهذا لا يعني الا يلوم الانسان من اخطأ عليه او اساء اليه لكن شتان بينه كما ذكرنا قبل قليل فيما يتعلق بالفرق بين النصيحة والشكاية وفي شتان بين اخذ - 00:21:03

الحق واجراء العدل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وبين ان يظن ان هذا قد اوصل اليه ما يكره بنفسه من غير ارادة الله عز وجل وتقديره تاء تمام الايمان يسمو به الانسان من ان يتعلق بالخلق فتجد ان - 00:21:34

ما يكرهه يعتقد انه بامر الله عز وجل وانه قد شاءه وقدره عليه فيدفعه بما يقدره الله تعالى من الاسباب. واذا وصله ما يحب فانه من فضل الله ولا يعني هذا الا يشكر او يثني على من احسن - 00:22:01

اليه بل قد قال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان؟ وقال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح في الحديث الصحيح في المسند وغيره من لا يشكر الناس لا يشكر الله. لكن - 00:22:20

فرق بين فعل مقتضيات ما ترتبه الشريعة من الاحكام في الاساءة او ما ترتبه الشريعة من الاحكام. في الاحسان وبين ان يغفل الانسان عن ان الاساءة انما وصلت اليه بامر الله وان الاحسان يصل اليه بامر الله وانما يظره لن يصل اليه الا بقدر الله وانما ينفعه لن يبلغه الا بقدر الله عز - 00:22:33

وهذا معنى قوله رحمه الله فان من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره سخطا يوقعه في غضب الله عز وجل او يأمل سواه. اي يطمع في غير الله عز وجل فانه لا سبيل الى ادراك شيء الا بالله عز وجل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما - 00:23:02

ولا معطي لما منع. قال وهذا التوحيد مقام الصديقين. اي هذه منزلتهم وهذه مرتبتهم وهذه درجتهم. حيث انهم كملوا التوحيد

والتصديق لله عز وجل بحقه جل وعلا في ربوبيته وفي الهيته - 00:23:25
هذا ما يتصل آآ هذا المقطع نفيد في بيانه وايظاحه آآ بعد صلاة المغرب ان شاء الله تعالى بعد صلاة المغرب الحلقة في الكرسي الذي امام هذا نكمل ان شاء الله تعالى التعليق على هذا نفس الدرس ايه - 00:23:46
الى صلاة العشاء باذن الله هاليوم وغدا وبعد غد نسأل الله ان يبلغنا واياكم مرضاته وان يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح - 00:24:10